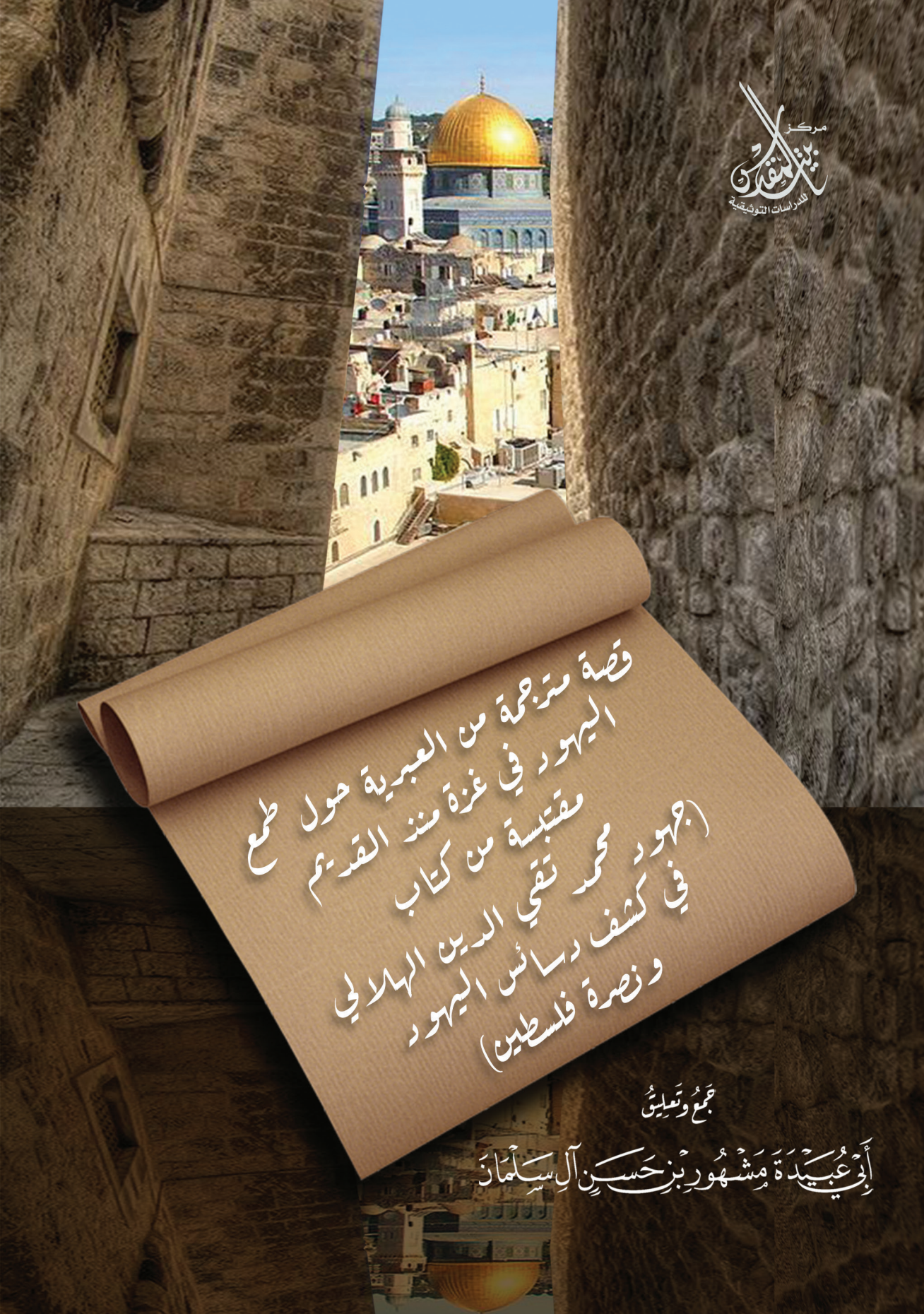

مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

قصة مترجمة من العبرية حول طمع اليهود في غزة منذ القديم

مقتبسة من كتاب

(جهود محمد تقي الدين الهلالي في كشف دسائس اليهود ونصرة فلسطين)

جمعُ وتعليقُ

أبي عُبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

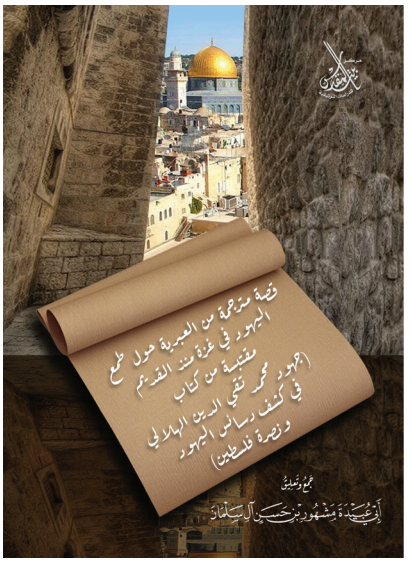

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه قصة قديمة تؤكد ما يجري هذه الأيام في مدينة غزة الفلسطينية، وأن لليهود مطامح ومطامع في غزة منذ القديم، وهم ينتقمون منهم هذه الأيام إبان كتابة هذه السطور بناءً على خرافات وأوابد وأساطير! وفيها -وهو زور وبهتان- أن غزة أرض آبائهم، وهم يعملون من قديم على احتلالها وإبادة أهلها وتشريدهم، والقرائن على ذلك لائحة متضافرة، لا تقبل الشك، وقاتل الله القتلة الأفّاكين، وعليهم اللعنات المتتابعات إلى يوم الدين.

ولا بد من التنويه بأن هذ القصة مستلة من كتابي «جهود محمد تقي الدين الهلالي في كشف دسائس اليهود ونصرة فلسطين»، والمنشور عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الأردن - عمان

كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟[1]

الحمد لله الذي جعل النصر مقرونًا بألوية الإيمان، وجعل الذلة والصغار على مَن أعرض عن دينه وقابله بالكفران.

وصلِّ اللهم على محمد الذي اصطفيته من بني عدنان، وعلى آله وأصحابه ليوث الوغى وأسود الطِّعان، وعلى مَن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه؛ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي:

وقعت في يدي قصة باللغة العبرانية، وهي مقررة للتعليم في رياض الأطفال بالولايات المتحدة؛ فرأيتُ أن اليَهود يربُّون أولادهم على التمسك بدينهم وتاريخهم وسائر

---

(١) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد العاشر، العدد الثاني، صفر ١٣٩٨هـ - فبراير ١٩٧٨م، (ص ٩-٣٢)، ونشرت كذلك في مجلة «البعث الإسلامي» على ثلاث حلقات:

الأولى: في المجلد الثامن عشر، العدد الثامن، ربيع الأول ١٣٩٤هـ - إبريل ١٩٧٤م، (ص ٦٨-٧٧).

والثانية: في المجلد الثامن عشر، العدد العاشر، جمادى الأولى ١٣٩٤هـ - يوليو ١٩٧٤م، (ص ٧٦-٨٢).

والثالثة: في المجلد التاسع عشر، العدد الأول، رجب ١٣٩٤هـ - أغسطس ١٩٧٤م، (ص ٧٠-٧٥).

ثم وقفت عليه في أوراق الهلالي الخاصة بخط تلميذه رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.

وكنتُ قد رأيته مطبوعًا على هيئة كتيب عن مطبعة النجاح الجديدة في الدار البيضاء سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، وأثبت على طرته: «ترجمةُ من الإنكليزية: الدكتور محمد تقي الدين الهلالي»، وفي آخره (ص٣٢): «انتهت ترجمة هذه القصة مساء اليوم ٢٦ من الشهر الخامس سنة ١٣٩٣هـ من هجرة النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم-، وفيها عبرة لمن يعتبر، وكان ذلك بالمدينة النبوية، على من شرفها الله به أفضل الصلاة والسلام».

ثم قال بعدها -وهذا في المطبوع دون الأصل الخطي-:

«**تنبيه**: لا أدري! هل ترجمتُ هذه القصة من الإنكليزية أم من العبرانية أم منهما جميعًا، وفيها عبرة للعرب والمسلمين، وحافز لهم لتعلم دين الإسلام، وتعليمه للصغار والكبار إذا أرادوا أن يرجع لهم ما كان لآبائهم من العز والنصر، (والله على كل شيء قدير)».

وجزم أنه ترجمها من العبرانية في مجلة «الجامعة السلفية» وأوراقه الخاصة؛ فقال: «**تنبيه**: قال محمد تقي الدين، مترجم هذه القصة من أصل عبراني».

مقوماتهم، وأن المسلمين والعرب بخلاف ذلك؛ يهملون أولادهم، أو يربونهم تربية إثمها أكثر من نفعها، فترجمتُ لهم هذه القصة؛ ليقفوا[١] عليها، **ويعرفوا سرَّ ما أدركه اليهود في هذا الزمان من القوة والنجاح**؛ فأقول -وبالله التوفيق-:

الكعكات المقدسة، داني[٢] يحب القصص:

صلصل الجرس مُؤْذنًا بفسحة الاستراحة؛ فخرج الصِّبيان من روضة الأطفال للعب في ساحة الروضة إلا داني؛ فإنه بقي في مكانه جالسًا؛ فناداه أمنون: يا داني! قم فاخرج، لماذا بقيت في مكانك حالمًا؟

فرفع داني بصره، ونظر إلى أمنون شزرًا كأنه رآه للمرة الأولى في حياته؛ فقال داني: أنا! لا؛ لست حالمًا، اسمع يا أمنون! لعلك تعرف أين الكعكات الثلاث؟

قال أمنون: أي كعكات؟!

فقال داني: أنسيت الكعكات الثلاث التي صنعتها أمنا سارة للملائكة؟![٣] وأنت تعلم أن الملائكة لا يأكلون؛ إذًا فأين الكعكات؟! ومَن أكلها والملائكة لا يأكلون ولا يجوعون؟! [أين الكعكات الثلاث المقدسة؟][٤]

ومَن مِن التلاميذ لا يحب مثل هذه القصة؟ كلهم يحبونها، ولكن داني يحبها أكثر منهم جميعًا؛ فإنه يسمعها ثم يطلب إعادتها مرارًا وتكرارًا، ويقرأ آياتها المسطورة في التوراة، ثم يقرأها ولا يشبع من قراءتها، حتى في الليل وهو مضطجع على سريره يفكر فيها بقلبه.

نعم؛ هو لا ينقطع عن[٥] التفكير في هذه الحكاية الجميلة دائمًا، يُفكِّر فيما كتب في

---

(١) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «ليقضوا».

(٢) داني: عَلَم عبراني، وهو (ترخيم دانيال)؛ أحد أنبياء بني إسرائيل -عليه السلام-. **(منه)**

(٣) في مجلة «البعث الإسلامي» وضع الهامش الآتي: «هذه القصة مذكورة...» هنا.

(٤) ما بين المعقوفتين من مجلة «البعث الإسلامي».

(٥) في مجلة «البعث الإسلامي»: «من».

التوراة، وما تُفسِّره له المعلمة وللتلاميذ من أخبار سفينة نوح، وعوج ابن عناق[1] الذي

(١) ورد في عوج أحاديث **موضوعة لا أصل لها**، ومنها: خبرُ نوف البكالي، أخرجه أبو سعيد النقاش في «فنون العجائب» (رقم٩٦ - بتحقيقي)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٢١ - ١٥٢٢) رقم (٩٩١) وابن جرير في «تفسيره» (٦/ ١٨٥) وهو مردود، قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٨): «في وجود رجل يقال له (عوج بن عنق) نظر».
وقال ابن القيم في «الفوائد الحديثية» (ص ٨٨ - بتحقيقي) ما نصُّه:
«وأما حديث عوج ابن عنق؛ فإنه وإن كان جماعة من المفسرين والإخباريين ذكروه في كتبهم؛ **فهو كذب مختلق**، سمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية يقول ذلك مرارًا، وهو مِنْ وَضْع أهل الكتاب، ولا يخفى على العاقل إذا تدبَّر الحديث وتأمله أنه من **أبين الكذب، وأن الكذب ينادي عليه في سوق من يزيد، وأظنه من وضع زنادقة اليهود الذين غرضهم السُّخرية من أتباع الرسل**؛ فإن في حديثه: «إنه كان يأخذ السَّمكة من قرار البحر ويشويها في عين الشمس»، وهذا يكون طوله على هذا الحساب مسيرة ألفي عام أو أكثر ولا تضبط القوى البشرية طول مثل هذا بالذرعان، وفيه: «أنه خاض البحر فما وصل إلى حجزته»، وهذا من المحال، وفيه «أنه قلع صخرة على قدر عسكر موسى فرسخًا في فرسخ وحملها على رأسه فتقورت وصارت في رقبته كالطوق»، وفيه: «أنه لم يركب مع نوح في السفينة وقال له لما رآها: هذه قَصْعَتُكَ، وأن الطُّوفان لم يغرقه»، ومن له أدنى معرفة يقطع بكذب هذا؛ فإن الله -سبحانه- أغرق أهل الأرض كلهم زمن الطوفان، فلم ينج منه إلا أصحاب السفينة، وأخبر النبي ﷺ إن خلق آدم وطوله ستون ذراعًا في السماوات، وأن الخلق لم يزل ينقص حتى الآن [كما ثبت في «صحيح البخاري» (رقم٣٣٢٦، ٣٣٢٧، ٦٢٢٧) و«صحيح مسلم» (رقم ٢٨٣٤)]، يرويه ويذكره في تفسير أصدق الكلام، حتى قال الثعلبي: أجمع العلماء على أن عوجًا قتله موسى؛ فيا عجبًا من أين هذا الإجماع الذي لم يصح منه! والعجب ممن يخفى عليه كذب هذا الحديث وبطلانه كيف نقل واحد عن موسى، وبين الثعلبي وبين موسى ما يمكنه تصحيح نقل واحد عنه؛ إلا ما قاله الله ورسوله، والنبي ﷺ وإن أَذِنَ في الحديث عن بني إسرائيل؛ فلم يأذن في تصديقهم في كل ما يحدثون به، بل [قد] قال: «**إذا حدثكم أهل الكتاب؛ فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»، وهذا إنما هو فيما يحتمل الصدق والكذب، فأما ما هو معلوم الصدق؛ فلا يجوز تكذيبهم فيه، وما هو معلوم الكذب لا يجوز تصديقهم فيه؛ فالأقسام ثلاثة، **وهذا من المتيقن كذبه ولا يتناوله إذنُ النبي ﷺ في التحديث به ونهيه عن تصديقه وتكذيبه، والله أعلم**».
وقال -أيضًا- في «المنار المنيف» (ص ٧٦) عند ذكره القواعد الكلية التي يعرف بها أن الحديث موضوع: «ومنها أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج ابن عنق الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء، فإنهم يجترئون على هذه الأخبار»، ثم أشار إلى بعض ما ذكر له من أوصاف، وقال: «وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره! ولا يبين أمره! وهذا عندهم ليس من ذرية نوح، وقد قال الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].
فأخبر أن كل من بقي على وجه الأرض فهو من ذرية نوح، فلو كان لعوج -هذا- وجود لم يبق بعد نوح» اهـ.

كان إلى جانبها سابحًا في المياه الطُّوفانية، وتشرح لهم المعلمة قصة إبراهيم (الخليل) -عليه الصلاة والسلام-، حين كان صغيرَ السِّنِّ مع نمروذ ملك العراق المجرم، كل ذلك كان يستولي على لب داني، ويفهمه أكثر من غيره.

إلَّا أن الكتاب الذي بيده لا يفسر له كل شيء، وكذلك المعلمة لا تستطيع أَنْ تبلغ الغاية في شرح كل ما في ذلك الكتاب؛ فيضطر داني إلى أَنْ يُحاول بنفسه أَنْ يفهم تفاصيل ذلك، لكنه لا يستطيع أَنْ يصل إلى فَهْم كل ما يريده.

وفي ذات يوم وَصَلَ التلامذة إلى حكاية[1] الأشخاص الثلاثة الذين جاءوا إلى إبراهيم وسارة برسالة فرحت بها سارة فرحًا عظيمًا؛ وهي أنها ستحبل وتلد ابنًا، وفرح الصِّبيان كلهم باستقبال الضيوف في خيمة إبراهيم.

وكذا اشتد إنكار الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٠٧) على أخباره؛ حيث وصفها بأنها من الهذيانات، وقال:

«لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها؛ لسقاطتها وركاكتها، ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول.

أما المعقول: فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره، وأبوه نبي وزعيم أهل الإيمان، ولا يهلك عوج ابن عنق! -ويقال: عناق- وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا...

وأما المنقول: فقد قال الله -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٦] وقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ثم هذا الطول الذي ذكروه له مخالف لما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»، وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه، فكيف يترك هذا ويذهل عنه، ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب؟! **وما أظن أن هذا الخبر عن عوج ابن عناق إلا اختلاقًا من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء**، والله أعلم».

(تنبيه):

ذهب صاحب «القاموس» إلى أن الصواب في اسم أبيه: «عوق»، وقد غلّط من قال: «عنق»، وجوَّزه الزَّبيدي في «التاج» (٧/ ٣٠)؛ فقال معلقًا على مقولة الفيروز آبادي: «ومن قال عوج بن عنق؛ فقد أخطأ»، قال: «هذا الذي خطَّأه هو المشهور على الألسنة، قال شيخنا: وزعم قوم من حفاظ التواريخ أن عنق هي أم عوج، وعوق أبوه؛ فلا خطأ ولا غلط».

(١) هذه القصة مذكورة في سورة الذاريات [٢٤ - ٣٠] في قوله -تعالى-: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ...﴾ إلخ. (منه)

وكان داني أكثر التلاميذ فرحًا بسماع هذه الحكاية؛ لأنه يحبُّ الضيوفَ في المدرسة وفي كل مكان، وهؤلاء ليسوا ضيوفًا عاديين، بل هم ملائكة نزلوا من السماء؛ فضحك داني في نفسه؛ لأن إبراهيم الرجل الصالح وسارة المرأة الصالحة لم يعرفَا هؤلاء الضيوف أنهم ملائكة من السماء؛ ففسرت لهم المعلمة الطيبة هذا السرَّ الذي قرءوه في الكتاب، ولم يفهموه، وكان إبراهيم -عليه السلام- كريمًا مضيافًا، فرحب بضيوفه في خيمته، وكان لهذه الخيمة أربعة أبواب، في كل جهة من جهاتها الأربع باب، حتى إذا جاء ضيف جائع من أَيِّ جهة لا يحتاج أن يبحث عن الباب، وكلما رأى أبونا إبراهيم ضيوفًا فرح بهم، وقامت أُمُّنا سارة في الحال لتصنع لهم طعامًا.

فلما قدم إبراهيم الكعكات لضيوفه أخذوها بأيديهم، ولمسوا بها شفاههم كأنهم يريدون أَنْ يأكلوا، لكنهم لم يأكلوا شيئًا.

ولـمَّا بشَّروا سارة بأنها تلد ابنًا ضحكت؛ لأنها لم تُصدق أنها تستطيع أن تحبل فتلد[1] ابنًا؛ لتقدمها في السن، فسألها إبراهيم: لم ضحكت؟ فاستحيت واعتذرت، فانصرف الملائكة.

قالت المعلمة للصبيان: هل قرأتم قطُّ حكاية جميلة مثل هذه؟ ثم أجابت: طبعًا لا!

وكذلك داني رأى هذه القصة أحسن قصة قرأها في حياته.

فلمَّا تمت القصة؛ ارتفعت أيدي التلاميذ إشارة إلى أن لهم أسئلة كثيرة، وكذلك داني رفع يده؛ لأنه يريد أَنْ يسأل سؤالًا مُهمًّا، وإذا بالجرس يصلصل إيذانًا بانتهاء الدرس، فحزن داني؛ لأن الجرس قطع عليه مراده، فقام الصِّبيان وخرجوا للعب في ساحة المدرسة، ووقفوا في دائرة يغنون ويرقصون، إلا داني؛ فإنه بقي جالسًا لا يريد أَنْ يلعب ولا يرقص ولا يغني، لا[2] يريد إلا شيئًا واحدًا يريد معرفته؛ وهو أين الكعكات الثلاث المقدسة؟ وكيف لا تكون مُقدَّسة وأبونا إبراهيم أخذ الدقيق بيده، وأُمُّنا سارة صنعت الكعكات

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «وتلد».

(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «ولا».

بيدها، والملائكة المقدسون لمسوها بأيديهم ولمسوا بها أفواههم؟ والملائكة لم يأكلوا الكعكات المقدسة يقينًا، بل تركوها على المائدة في خيمة إبراهيم، وهذه الكعكات المقدسة لا تيبس ولا تتغير؛ فأين هنَّ؟ ومَن أكلهنَّ؟

لم يزل هذا السؤال يتردد في ذهن داني، ولم يجد له جوابًا، سأل[1] المعلمة عنه، وسأل أباه وجدَّه؛ فكلهم قالوا: لا ندري! هذا سؤال أعظم من أَنْ نقدر على الجواب عنه.

فلم يزل داني يُفكِّر ويقول في نفسه: يا رب! مَن يا ترى يحلُّ لي هذا اللغز؟

ومضت الأيام؛ فتعلم داني في الروضة قصة إبراهيم وهاجر وإسماعيل حين كان طفلًا؛ فتأسف داني على هاجر وابنها الظمآن في الصحراء، ثم فرح بأنهما أخيرًا وجدَا الماء[2]، وبعد ذلك تعلَّم شد وثاق إسحاق[3]، ما أشد هول ذلك! وتعلَّم داني القصة إلى نهايتها،

---

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «فسأل».

(٢) انظر ما جاء في «صحيح البخاري» [٣٣٦٤، ٣٣٦٨، ٣٣٦٢، ٣٣٦٣، ٣٣٦٥] وغيره من كتب السيرة من ظمأ هاجر وإسماعيل، وطلب هاجر الماء؛ فأكرمها الله وولدها بماء زمزم. (منه)

قال أبو عبيدة: ذكرتها في كتابي «من قصص الماضين» (٩٧ - ١٠٩)، وسقتها على طولها، مع بيان مفرداتها الغريبة، والعبر التي تؤخذ منها.

(٣) اختلف الأئمة في مَن أُمِرَ إبراهيم بذبحه؛ أهو إسماعيل أم إسحاق؟ ورجح ابن القيم أنه إسماعيل، وعلى كل حالٍ قصة الذبح موجودة في «التوراة» وفي القرآن؛ قال -تعالى- في سورة الصافات [١٠١ - ١٠٧]: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ...﴾إلخ. (منه)

قال أبو عبيدة: المراد بالذبيح إسماعيل، ودلَّت على ذلك «التوراة»، مع أن اليهود يقررون أنه إسحاق! وتبعهم -للأسف- بعض المفسرين!

إن اليهود لم يبالغوا في كتمان أمر مثل مبالغتهم في تعيين المذبح؛ فإنهم قد ارتكبوا تحريفات وأكاذيب صريحة وكثيرة في أمر إسماعيل والكعبة، وقد ذكرها الله في «التوراة»، وأخفاها اليهود، ودسُّوا فيها أهواءهم، فأصلحها القرآن الكريم.

وقد ساق علماء الإسلام روايات اليهود، وبيَّنوا أصولها بالنظر فيها، وقرَّروا أنه لا يعتمد على ما وافق هوى يهود، ونقضوا تصريحهم بأنها ليست بشيء؛ فإنهم بدلوا وحرَّفوا كثيرًا.

من أهم من تعرض لهذه المسألة: العلَّامة عبد الحميد الفراهي ﷺ في كتابه البديع المطبوع بعنوان «الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح»، وانظر: «الإمام عبد الحميد الفراهي، وجهوده في خدمة القرآن وعلومه، دراسة نظرية تحليلية تطبيقية» (ص٥٦٥ - ٧٧٦) للدكتور حسن يشو.

وكان قلبه يخفق لأحداثها، وأحاط علمًا بكل ما قرأه من ذلك، ثم عَلِمَ موت سارة أُمِّنا،

ولابن العربي المعافري «تبيين الصحيح في تعيين الذبيح»، وهو مطبوع، ولمحمد سعيد العاني «القول الصحيح في تعيين الذبيح»، وهو مطبوع -أيضًا-.

ومن بدَّل وحرَّف يخلط الحق بالباطل.

والأمر الحق يُجمع له حقائق أخرى، ويبقى الباطل مخذولًا.

ويَستمد المُحق من المعارف المكتشفة من أحوال العلم.

وإن قراءة كتب اليهود المحرَّفة؛ يمكن الاستدلال منها على أن الذبيح هو إسماعيل -عليه السلام- وفق ما يأتي:

لما بكَّر إبراهيم -عليه السلام- لأن يقرِّب إسماعيل -عليه السلام-؛ لم يكن إسحاق -عليه السلام- معه؛ بل كان إسماعيل -عليه السلام- ساكنًا معه، والذي أدخل اسم إسحاق -عليه السلام- في الموضوع لم يتفطن لهذا الأمر بقي دليلًا على إدخاله.

إن إسماعيل -عليه السلام- كان وحيد أبيه، وفي نصوصهم: «أمر بذبح ابنه الوحيد».

لأجل أن يكون هذا الفضل لجدِّهم حرَّفوا «التوراة»؛ فبدَّلوا (إسماعيل) بـ(إسحاق)، «ولكن الله أبى إلا أن يغفلوا عمَّا يدل على هذه الجريمة النكراء، والجاني -غالبًا- يترك من الآثار ما يدل على جريمته، والحق يبقى له شعاع -ولو خافِت- يدل عليه، مهما حاول المبطلون إخفاء نوره، وطمس معالمه؛ فقد حذفوا من «التوراة» لفظ (إسماعيل)، ووضعوا بدله اسم (إسحاق)، ولكنهم غفلوا عن كلمةٍ كشفت عن هذا التزوير، وذاك الدس المشين.

ففي «التوراة» (الإصحاح الثاني والعشرون - فقرة ٢): «فقال الرب: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المُرِيَّا، وأصعده -هناك- مُحرَقةً على أحد الجبال الذي أقول لك...».

وليس أدل على كذب هذا من كلمة (وحيدك)، وإسحاق -عليه السلام- لم يكن وحيدًا -قط-! لأنه ولد ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة؛ كما هو صريح «توراتهم» في هذا، وقد بقي إسماعيل -عليه السلام- حتى مات أبوه الخليل، وحضر وفاته، ودفنه، وقد ذكرت القصة في «التوراة» في (١٤) فقرة، فليرجع إليها من يشاء؛ لتكون لنا الحجة عليهم من نفس كتابهم المقدَّس، وإليك ما ورد في هذا:

ففي «سفر التكوين» (الإصحاح السادس عشر الفقرة ١٦) ما نصه:

«وكان أبرام -يعني: إبراهيم- ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام».

وفي «سفر التكوين» (الإصحاح الحادي والعشرون فقرة ٥) ما نصه:

«وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه...».

وفي (الفقرة ٩) وما بعدها ما نصه:

«(٩) ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمرح (١٠) فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق (١١) فقبُح الكلام جدًّا في عيني إبراهيم لسبب ابنه (١٢) فقال الله لإبراهيم: لا يقبُح في عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول سارة اسمع لقولها؛ لأنه بإسحاق يدعى لك نسل (١٣) وابن الجارية -أيضًا- سأجعله أمّة؛ لأنه نسلك» إلى آخر القصة.

ويصدِّق هذا: كتاب الله الشاهد على الكتب السماوية -كلِّها-؛ قوله -سبحانه- حكاية لمقالة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بعد أن بنيا البيت: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ...﴾ [البقرة: ١٢٨]، ولو أنَّ اليهود وعوا ما جاء في التوراة والقرآن؛ لعلموا أنه ستكون أمة لها شأنها من نسل إسماعيل، ولَمَا حسدوا العرب على هذا الفضل.

فما قولكم يا أيها اليهود المحرِّفون؟! وكيف يتأتَّى أن يكون إسحاق وحيدًا مع هذه النصوص التي هي من «توراتكم» التي تعتقدون صحتها، وتزعمون أنها ليست محرَّفة؟!».

وانظر -غير مأمور-: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (٢٥٦) للعلَّامة محمد بن محمد أبو شهبة.

الحقائق المزوَّرة في «التوراة» حول إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق -عليهم الصلاة والسلام-:

إن إسماعيل كان أحب إلى أبيه.

إن موضع الذبح كان المروة؛ وهو موضع عند الكعبة.

إن إسماعيل كان هو الأولى بأن يقرَّب.

ثم إن البشارة بإسحاق تمنع أن يكون هو قربانًا.

وقوع التضحية قبل ولادة إسحاق -عليه السلام-.

كون إسماعيل -عليه السلام- نذرًا لله؛ وهو بمعنى القربان.

كون إسماعيل -عليه السلام- أمام الرب؛ وهو بمعنى أمام القربان.

لو كان إسحاق -عليه السلام- قربانًا لله؛ لبقي شيء في شريعة اليهود من أثر هذا الأمر العظيم.

لما أمروا به من توجيه قرابينهم إلى جهة الكعبة.

لما جعل مسكن إسماعيل -عليه السلام- قبلتهم.

كون الكعبة هي بناء إبراهيم -عليه السلام- ومنحره.

ومما ينبغي الإشارة إليه -والمقام لا يتسع للتفصيل-: أن هذه الأدلة الموجزة الإشارية بحثها جمعٌ بالتفصيل والإسهاب، ومن أهم من صنع ذلك، وبيَّن تناقض «التوراة» في الذبيح: ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٣١ - ٣٣٦)، وتلميذه ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٧١ - ٧٤)، وابن كثير في «قصص الأنبياء» (١/ ١٤٤)، وتتبع كلامهم الفراهي، وربطه بالمدون في كتبهم، ولا تنس أن له «الإكليل في شرح الإنجيل»، وقام بذلك جمع من المعاصرين، ومن أحسنهم: الباحثة الدكتورة فاطمة بنت خالد ردمان في أطروحتها «إبراهيم -عليه السلام- في أسفار اليهود، عرض ونقد» (المبحث الثالث: الذبيح والفداء) (ص٢٧٤ - ٣٠٧).

وركَّزوا على أن الذبيح إسماعيل، وليس بإسحاق؛ إذ لهذا الخلاف آثاره المهمة، ولا سيما في رسم سياسة يهود التوسعية.

ولا بد أن تتذكر أن إبراهيم عند اليهود غير إبراهيم الذي في القرآن، وأنه -عندهم- لا صلة له بمكة والكعبة المشرفة، وهذا من أكاذيبهم، وقد كشفتُ عنه بتطويل في كتابي «الكنائس بين الأحكام الفقهية والوقائع التاريخية»، وهو مطبوع في ثلاثة مجلدات، والحمد لله وحده.

وملك[1] إبراهيم المغارة التي اسمها (مكفولة)، وأخذها من يد (عفرون الحثي)[2]؛ عَلِمَ ذلك كله، قصة بعد قصة، قرأ ذلك، وكتبه، وصوَّره بيده في دفتره.

لكن؛ كل ذلك لم يكفه، ولم يبرد غلته، وبقي هذا السؤال يتردد في نفسه: من أكل كعكات سارة؟ وكاد يستولي عليه اليأس من حلِّ هذه المشكلة التي أقضت مضجعه، ثم مرضت المعلمة، وهذا يسوؤه حقًّا؛ فمضت على صبيان الروضة ثلاثة أيام لم يتعلموا شيئًا، ثم جاءت معلمة أُخرى من روضة أُخرى؛ فنابت عنها، ثم خلفها غيرها من المعلمات.

وفي ذات يوم بينما الصِّبيان جالسون إذا بالجرس يصلصل، وبعد لحظة دخل عليهم المدير، ولـمَّا دخل خطر ببال داني خاطر سريع، وهو أن يسأل المدير عن الكعكات الثلاث المقدسة؛ لعله يستطيع أَنْ يُجيب عن سؤاله، فرفع يده، فقال له المدير: اسأل.

فسأله: مَن أكل كعكات أُمِّنا سارة الثلاث؟

فتبسَّم المدير، وقال: سأخبرك عما سألتَ عنه، فطارت قلوب الصِّبيان شوقًا إلى سماع

---

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «وتملك».

(٢) عفرون: اسم عبري، معناه (غزال صغير)، وهو ابن صوحر، حثّي كان يقيم في الخليل، وقد باع إبراهيم حقل المكفيلة ومغارتها كما في مواطن من التوراة، انظر: «قاموس الكتاب المقدس» (٦٣٢).
قال موستراس في كتابه «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢٥٩) معرِّفًا بمدينة الخليل:
«فيها مسجد جميل يعرف باسم مسجد سيدنا إبراهيم، بُني -حسبما تذكر الروايات- فوق مغارة المكفيلة التي دفن فيها سيدنا إبراهيم وزوجته سارة ورؤساء الأسباط، ومدينة الخليل من أقدم المدن في العالم، عرفت أولًا باسم قرية أربع (سفر يشوع ٢١: ١١)، ورد ذكرها مرارًا في الكتب المقدسة، أثناء الحرب مع الرومان استولى سيريالس على حبرون وأحرقها («حرب اليهود» ليوسيفوس، ٤/ ٩ و٥) سنة ١١٠٠م، استولى عليها الصليبيون، وشيدوا فيها الكنيسة التي حولها المسلمون سنة ١١٨٧م إلى مسجد يعرف حاليًّا باسم مسجد الخليل»! كذا قال!
والمكفيلة Macpèla اسم سامي ربما كان معناه: «مزدوجة»، وهو حقل في حبرون كانت فيه المغارة التي اشتراها سيدنا إبراهيم من بني حِثّ؛ لتكون مقبرة لأسرته (سفر التكوين ٢٥: ٧)، دُفن فيها سيدنا إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقة وليئة ويعقوب، والمغارة الآن ضمن المسجد الإبراهيمي في الخليل، انظر: «قاموس الكتاب المقدس» (٩١١).

حديث المدير، فاقترب المدير من داني، ومسح رأسه بيده إيناسًا له، ثم وَقَفَ وقال: أيها الأعزاء! اعلموا أنَّ ما سأقصه عليكم وقع منذ زمان طويل جدًّا:

بجوار أرض إسرائيل كان الفلسطينيون يسكنون، وهم أعداء بني إسرائيل، وكانوا أشرارًا، وكانوا طاغين على بني إسرائيل؛ يأكلون غلَّة أرضهم، وثمار أشجارهم، وينهبون غنمهم وبقرهم، ويحرقون غابات جبال إسرائيل، [ويقتلون الرجال والنِّساء والصِّبيان من بني إسرائيل][1] أو يسبونهم، إلى أَنْ قام في بني إسرائيل رجل عظيم شديد البأس اسمه (شمشون)[2]، فكان انتصار بني إسرائيل وإنقاذهم على يده، وكان له يدان من حديد، وقلب لا يعرف الخوف؛ فقاتل الفلسطينيين وقهرهم، وأنقذ شعبهم من شرِّهم.

فلم يستطع الفلسطينيون بعد ذلك أَنْ يمسُّوا بني إسرائيل بأذًى، فَسَادَ السلام والأمن أرض بني إسرائيل زمانًا طويلًا، وكان شمشون العظيم أميرًا على شعبه، وكانوا في أحسن حال، حتى وقعت حادثة مؤلمة ومصيبة عظيمة؛ وذلك أن شمشون الشديد وقع في يد امرأة خبيثة، وهذه المرأة سلَّمت شمشون الشديد إلى الفلسطينيين؛ فشدوا وثاق يديه ورجليه، ومع ذلك كانوا يهابونه، إذا نظر إليهم يرعبون ولا يستطيعون الهجوم عليه، فقال الفلسطينيون: ما دام هذا الرجل يبصر بعينيه لا نقدر أَنْ نقترب منه؛ فتعالوا نفقأ عينيه. هكذا قالوا، وهكذا فعلوا، وانتظروه حتى نام؛ فجاء منهم عشرة رجال[3]، وفقئوا عينيه، وكبلوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال، ونقلوه إلى مدينتهم غزَّة[4]، ووضعوه في (داغون) بيت آلهتهم، وأخذوا يسخرون منه، ويضحكون عليه.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البعث الإسلامي».

(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «شعشون».

(٣) في مجلة «البعث الإسلامي»: «عشرة رجال منهم».

(٤) انظر إلى مطامح ومطامع اليهود في غزة منذ القديم، وهم ينتقمون منهم هذه الأيام إبان كتابة هذه السطور بناءً على هذه الخرافات والأوابد والأساطير! وفيها ما سيأتي -وهو زور وبهتان- أن غزة أرض آبائه، وهم يعملون من قديم على احتلالها وإبادة أهلها وتشريدهم، والقرائن على ذلك لائحة متضافرة، لا تقبل الشك، وقاتل الله القتلة الأفَّاكين، وعليهم اللعنات المتتابعات إلى يوم الدين.

وكان في غزة أهل بيت من بني إسرائيل قاطنين، وكان صاحب هذا البيت حدَّادًا، وقد بارك الرب في عمل يديه، ولم ينسَ قطُّ هذا الرجل أرضَ آبائه، وكان -أيضًا- يُعلِّم أبناءه أَنْ يُحِبُّوا شعب إسرائيل وأرض إسرائيل، إلا أن نفسه لم تطب بالرحيل من مدينة الفلسطينيين غزة والرجوع إلى أرض إسرائيل، وقال في نفسه: إن عدد إخوتي كثير، وتَرِكَة أبينا قليلة، وبعد سفري اقتسم إخوتي ميراث أبينا بينهم؛ فليس لي كرم ولا مزرعة ولا جنة في أرض إسرائيل؛ أأرجع إلى هناك لأموت جوعًا؟!

وكان هذا الرجل إذا جاء المساء وغربت الشمس وطلعت الكواكب؛ ترك شغله جانبًا، وجلس مع أبنائه يحدِّثهم عن مسقط رأسه أرض إسرائيل، [وعن شعبه بني إسرائيل، ويسمِّي لهم جبالَها وسهولَها واحدًا بعد واحد، ثم ينشدهم أناشيد إسرائيل][1] بصوت مؤثر عازفًا لهم على آلات الطَّرب، كالعود والمزمار، وبذلك نشأ الأولاد على حُبِّ أرض آبائهم مع بُعدهم عن حدودها.

وأصغر أبنائه (يزراعل)[2] كان يحفظ كل ما يقصه عليه والده ولا يزول من قلبه، وكان يقول في نفسه: إذا كبرت لا أبقى في هذه البلاد في أرض الفلسطينيين، لابد أَنْ أرجع إلى شعبي ومسقط رءوس آبائي، وأشتغل في أرض إسرائيل وأعيش فيها.

وهكذا كان يقيم هذا الغلام في غزة مدينة الفلسطينيين بجسمه، وقلبه في أرض إسرائيل، وكان دائمًا يبحث عن أخبار بني إسرائيل؛ فلما سمع بوقوع هذه الحادثة المشئومة، وهي أسر بطل بني إسرائيل شمشون؛ أسرع إلى (داغون) بيت آلهة الفلسطينيين ليرى عظيم إسرائيل وليساعده، ولما رأى عظيم بني إسرائيل أسيرًا امتلأ قلبه حزنًا؛ إذ رآه مكبولًا بسلاسل الحديد، ورآه واقفًا بين ساريتين عليهما يقوم البيت، وصيحات الضَّحك والاستهزاء تسمع من الخارج، والفلسطينيون يقولون: يا شمشون الإسرائيلي! انظر كيف

(١) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البعث الإسلامي».

(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «يزرعل»، وكذا في جميع المواضع الآتية.

قهرك الفلسطينيون! هذا أسدهم فاقتله![1] لماذا أنت محبوس بين هذين العمودين؟! قم فاهدمهما كما قلعت من قبل باب المدينة!

كل ذلك يسمعه شمشون وهو واقف صامت لا يقول شيئًا، إلَّا أنَّ قلبه مفعم بالأسى والألم، فلما رأى ذلك يزراعل الغلام؛ رقَّ قلبه له، فذهب يزراعل إلى الجهة المقابلة، وأخذ ينظر إلى شمشون وإلى الناس الذين هم واقفون حوله، ولما انصرف أولئك القوم وبقي شمشون وحده؛ دنا منه يزراعل، وقال له همسًا: أنا غلام إسرائيلي[2] [مقيم بأرض الفلسطنيين، ولكن قلبي مع إسرائيل][3] ومع جيش إسرائيل، وأنا في خدمتك؛ فمرني بما تريد من المساعدة، فأينما ترسلني أذهب، وكل ما تطلب مني أفعله.

وكان كلام الغلام لطيفًا تظهر عليه أمارات الصدق والعطف، فخرجت تلك الكلمات من قلبه، ووصلت إلى قلب شمشون، ولما عَلِمَ شمشون أنه صادق؛ تحدرت من عينيه دمعتان كبيرتان وحارتان، لكنه لم يفتح فمه، ولم ينبس ببنت شفة، فقال الغلام: ما لك لا تجيبني؟ لا تخف! قل لي كل ما في قلبك، لا يوجد هنا إلا أنا وأنت، الفلسطينيون ذهبوا جميعًا حتى الحراس، ولم يبقَ هنا أحد غيري، تكلم يا شمشون -بالله عليك- سريعًا وأجبني!

فأجاب شمشون الغلام قائلًا: شكرًا لك، أنا لا أخاف الموت بعدما سمعتُ كلامك، ما أجمل أَنْ أعرف أن هناك قلبًا إسرائيليًّا يخفق بحُبِّ إخوته حتى في أرض العدو، لا تحزن عليَّ يا يزراعل، [أنا أعتبر نفسي ميتًا؛ فعلام أخاف؟! لكن أنت يا يزراعل][4] لعلك تطول بك الحياة بعدي؛ فأوصيك[5] أن تذهب بحُبِّك هذا الصافي، وتعود إلى شعبك،

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «هذا أسد قم فاقتله».
(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «إسرائيل».
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البعث الإسلامي».
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البعث الإسلامي».
(٥) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «فأوحيك».

وتتعاون [مع إخوتك][1] لبناء دولة إسرائيل، أنت ترى يدي مغلولتين، وقد ذهب نور بصري، وقد أعرض الله عني.

فأجاب يزراعل: لِمَ تتكلم بمثل هذا يا شمشون؟! قال يزراعل -وقلبه يتقطع حزنًا-: إنَّ قدرة الله -تعالى- لا تعجز عنك، إن سقطت في هذه المرة فلا تيأس، أَلَا تعلم أن المثل يقول: إن الصديق قد يسقط سبع مرات ثم يقوم، لعلك تنقذ من أيدي الفلسطينيين، وتعود إلى شعبك وإلى أرضك.

قال شمشون: أنت غلام طيب يا يزراعل، أنَّى يكون ذلك وأنا هنا وحيد ليس لي نصير ولا معين؟! كيف أرجع إلى شعبي وإلى أرضي وأنا مكبول أعمى بين عمودين في هذا البيت النجس الذي هو مبني بالحجارة؟!

فقال يزراعل: ألا يوجد لعينيك دواء؟

فقال شمشون: لا أدري! لما كنتُ غلامًا صغيرًا في (صرعة) وهي المدينة التي ولدتُ بها؛ أخبرني أبي أن بأرض جلعاد[2] في الشمال ينبت نبات عجيب، لكنه لا ينبت إلَّا مرَّة

(١) ما بين المعقوفتين من مجلة «البعث الإسلامي».

(٢) هي اليوم قرية وجبال تقع شمال شرقي مدينة السلط، على بعد (١٦كم)، وتتبع ناحية زَي من محافظة البلقاء، على خط الطول ٤٧ – ٣٥°شرقًا، والعرض ٠٧ – ٣٢° شمالًا.
تلفظ اليوم (جَلْعَاد)، وهو الاسم القديم لجبال عجلون، وهي قرية أثرية، فيها بقايا آثار رومانية وبيزنطية، وجامع يعود للعهد الأموي، مما يدل على أنها كانت مسكونة منذ القدم، وهي مشهورة بحسن شجرها كالزيتون والدرَّاق والعنب؛ كذا في «مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه» (١/ ٣٥٣).
ولمدينة (جلعاد) ذكر منتشر في «التوراة»، تنظر بتتبع في «فهرس الكتاب المقدس» (٦٥٦ – ٦٥٧).
وعرف بها «قاموس الكتاب المقدس» (٢٦٤) بقوله: «قطر جبلي شرق الأردن يمتد إلى بلاد العرب، وهو يشتمل البلقاء الحديثة، أرضه صخرية وعرة (تثنية ٣٤: ١ و٢ صم ٢: ٩)، وجاء في (يشوع ١٣ : ٢٥) أن تخم جاد كان يشمل كل مدن جلعاد، ونصف سبط منسى أخذوا كل باشان ونصف جلعاد (يشوع ١٣: ٣٠ و٣١)، وجاء في (تثنية ٣: ١٢ و١٣ و١٦) أن نصف جبل جلعاد أعطي لرأوبين وجاد، وبقية جلعاد أعطيت لنصف سبط منسى، وكان ينبت في جلعاد نوع من الشجر يخرج منه مادة صمغية تدعى بـ(لسان جلعاد)، ذات خواص طبية (ارميا ٨: ٢٢ و ٤٦: ١١)، وله أهمية كبرى بين مواد التجارة (تكوين ٣٧ : ٢٥)، وذكر استرابو الجغرافي الشهير أنه يوجد حقل في فلسطين قرب أريحا مملوء من هذه الأشجار، وأما عصير البلسان فيشبه الحليب اللزج، ويتجمد بسرعة، وكان يستعمل علاجًا في الالتهابات، وفي زمن

واحدة في كل سبع وسبعين سنة، ينبت بين الصخور، وله نوار إذا وضعه الأعمى على عينيه رجع له بصره، ورأى نور الشمس، هذا ما سمعته من فَمِ أبي.

فنظر يزراعل من نافذة داغون بيت آلهة الفلسطينيين إلى الطريق المتوجِّه نحو الشَّمال، ثم قال: أخبرني بالحقيقة يا شمشون؛ هل قال لك أبوك هذا حقًّا أم هي خرافة؟ فقال شمشون: أنا لا أدري! وهَبْ أن هذا الخبر صحيح؛ فمَن يقدر أَنْ يجد لي هذا البلسم الشافي العجيب لأعالج به عيني؟! وزد على ذلك أنه لا ينبت إلَّا مرة واحدة في كل سبع وسبعين سنة.

قال يزراعل: ومَن يدري! لعل هذه السِّنين تكون الآن قد تمت، ويكون هذا أوان نباته.

قال شمشون: أنا ما بقي عندي أمل البتة، أنا ميت، ولا أريد إلا شيئًا واحدًا، أريده من الله؛ وهو أن يعينني على الانتقام من هؤلاء الأعداء الذين أعموا عيني.

وعند ذلك قبَّل يزراعل يد شمشون، وقال له: كُنْ قويًّا، وتشجع يا شمشون، فالرب معك، شعب إسرائيل حيٌّ.

وخرج يزراعل من بيت داغون، ورجع إلى بيت والديه محزونًا قلقًا؛ لأن عليه أن يحصل على البلسم الشافي لعيني شمشون، وليكن ما عسى أن يكون.

ولما أخبر بذلك أباه وإخوته الكبار؛ قالوا له: مسكين أنت يا يزراعل! تصدِّق كل ما تسمع، وهل يصير الأعمى بصيرًا؟! إنك تحلم في اليقظة.

الإسكندر كانت قيمته تعادل ضعفي وزن فضة (اطلب بلسان)».

وقالوا -أيضًا- (ص٢٦٤ - ٢٦٥): «جبل جلعاد: جبل غرب الأردن، يشرف على وادي يزرعيل، انصرف منه قسم من جيش جدعون (قضاة ٧ : ٣)، وبالقرب منه عين حرود المسماة اليوم (عين جلعود)، كما أن هناك نهرًا يدعى (نهر جلعود)، وكل هذه أصداء لكلمة جلعاد، كانت -أيضًا- جلعاد من نصيب نفتالي (٢ ملو ١٥ : ٢٩)، وربما امتد تخم نفتالي إلى الشرق نحو الأردن».

خروج يزراعل لأرض جلعاد[1]:

خرج يزراعل قاصدًا السفر إلى أرض جلعاد، فبحث عنه والده في كل مكان بالمدينة؛ فلم يجد له أثرًا.

أما يزراعل؛ فتوجه إلى الطريق السلطاني؛ فوجد قافلة من أهل مدين[2] مسافرة إلى الشمال للتجارة، وإبلهم تحمل كل نوع من البضائع التي جاءوا بها من مصر ليبيعوها في بلاد الشمال، فدنا الغلام من المدينيين، وقال لهم: أنا غلام إسرائيلي أسكن في أرض الفلسطينيين، أريد أن أسافر إلى أرض جلعاد، إن شئتم أن تتكرموا عليَّ بأَنْ تأخذوني معكم فعلتم مشكورين، وأنا مستعد أن أكون خادمًا لكم في الطريق، وإذا وصلنا جلعاد أغنيكم. فضحك المدينيون من قوله، فقال كبير القافلة: نأخذ معنا هذا الغلام ليكون لنا حاطبًا ويستقي لنا الماء.

وسافر يزراعل مع قافلة المدينيين، ومروا بحدود إسرائيل ليتوجه إلى أرض جلعاد التي في الشمال، فلما جاء المساء[3] وحطَّ المدينيون رحالهم للاستراحة في الصحراء، وساد الهدوء، وكان رجال القافلة قد تعبوا؛ فاضطجعوا[4] للنوم، فلم يبقَ شيء يُسْمَعُ إلَّا رغاء الإبل، وحديث الحراس الجالسين على النار يصطلونها، وفي تلك الليلة أصاب كبير القافلة أرق شديد؛ فقام من فراشه، وأخذ يتفقد رجال القافلة، وما معهم من الإبل والبضائع ليطمئن على سلامتهم، وبينما هو يتمشى ويراقب القافلة؛ إذ سمع صوتًا فتوجَّه نحوه، فوجد الغلام يزراعل جاثيًا على ركبتيه وهو يتضرع إلى الله في صلاته، والدُّموع تنهمر من عينيه، وكانت تلك الدُّموع تضيء كأنها مشاعل كبار في ظلمة الليل البهيم،

---

(١) جلعاد: أرض قريبة من السلط، وهي بلقاء عمان. (منه)
قال أبو عبيدة: سبق تعريفي بها مطولًا.

(٢) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «مدينة».

(٣) في مجلة «البعث الإسلامي»: «الماء»!

(٤) في مجلة «البعث الإسلامي»: «فأضجعوا».

فتعجب كبير القافلة؛ لأن ما رآه كأنه[١] كالمعجزة!

ولما فرغ الغلام من صلاته؛ دنا منه الشيخ، وقال له: إنك لغلام صالح، وقد سمعت صلاتك، فلم تسأل فيها إلا الخير، فقل لي ما في نفسك؛ فإني أعطف عليك.

وحينئذ فتح الغلام يزراعل قلبه للشيخ، وأخبره ببيت أبيه الذي في غزة، وبما يحس به من حب شعبه إسرائيل، وأخبار شمشون، وما جرى عليه من العذاب، وأخبره[٢] بالبلسم الشافي العجيب الذي في أرض جلعاد، وأنه مسافر للحصول عليه.

فأصغى إليه الشيخ، وأعجبه حديثه، وقال له: قصتك هذه أثَّرت في قلبي تأثيرًا شديدًا، وأنا مستعد لمساعدتك[٣]، والحق أقول لك: إنني ما سمعت قط شيئًا من خبر البلسم العجيب، ولا أعرف أين يوجد، ولكن إذا قوي عزمك عليه؛ فقُم وتوجَّه إلى جلعاد، ويفعل الله ما يشاء.

وهكذا تعاهدا على ذلك، وكذلك رجال القافلة أحبوا يزراعل وأكرموه، ولم يزل رئيس القافلة يحثُّ رجاله على المضي في السير إلى جَلْعاد؛ لأن الثروة الكبيرة هناك، فكانوا يغذون[٤] السير ليلاً ونهارًا، ووجوههم إلى الشمال[٥].

كيف نجا يزراعل من الموت:

ولما وصلت القافلة إلى ميروم[٦] من أرض الأردن؛ أخذ قلب يزراعل ينبض بسرعة

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «كان».
(٢) سقطت من مجلة «البعث الإسلامي».
(٣) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «بمساعدتك».
(٤) في مجلة «البعث الإسلامي»: «يغزون».
(٥) إلى هنا انتهت الحلقة الأولى من مجلة «البعث الإسلامي».
(٦) لا وجود لها في «مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه»! وجاء في «قاموس الكتاب المقدس» (٩٣٩) ما نصه: «ميروم: اسم عبري معناه (المرتفع)، وهي مياه ميروم، وهذه عبارة عن عين في فلسطين الشمالية؛ حيث انتصر يشوع على المتحالفين من الأمم الشمالية تحت قيادة يابين (يش ١١: ٥ و٧)، ويرجَّح أن ميروم هي ميرون الحالية، وأن مياه ميروم هي العين الوافرة المياه إلى جوار ميرون، والمياه التي تجري منها في وادي ميرون نحو بحر الجليل».

لأنه رأى من بعيد أرض جلعاد بلاد أخلافه[١]، فقوي أمله، ولما اجتازوا الحدود التي بين الأردن وإسرائيل تصدى للقافلة جماعة من الآراميين[٢]، فوقعت ملحمة بين الفريقين، وكان الآراميون أقوى وأكثر عددًا من المدينيين؛ فقتلوا كثيرًا من المدينيين، ووقع سائرهم في الأسر، ولم ينجُ إلا يزراعل؛ فإنه اختبأ ثلاثة أيام بلياليها في مخبأ، وبقي مضطجعًا لا يبرح مكانه، فقال في نفسه -وقد اشتد به الجوع-: خير لي أَنْ أموت في أرض آبائي من أَنْ أحيا عبد ا في أرض الغربة، إن الله لم يرضَ طريقي، ولا عملي. وغمَّض عينيه، وبقي ينتظر الموت، وبينما هو كذلك ظهر له نور؛ ففتح عينيه، وإذا بامرأة واقفة أمامه تنظر إليه نظر الأم الرحيمة لابنها، فمَّدت المرأة يدها ليزراعل وناولته كعكة، وقالت له: كُلْ يا بني هذه الكعكة لتحيا بها؛ فإن هذا خُبز مقدَّس جئتك به لأحفظ نفسًا إسرائيلية[٣] عزيزة مُقدَّسة، كُلْ ما تقدر أَنْ تأكله، والباقي احفظه في مزودك لتأكله في الطريق.

فسألها يزراعل: وما الطريق الذي أسلكه؟

فقالت له: خُذْ دائمًا طريق الجنوب المتوجِّه إلى بئر السبع، ومن هناك تذهب إلى أرض فلسطين التي فيها بيت أبيك، وإياك أن تسكن بعد الآن بأرض الغربة[٤]، يا بني! اذهب بقوَّتك هذه وخذ أباك وأمك وكل أهل بيتك وارجع إلى أرض آبائك إلى إسرائيل.

ثم قال لها والدموع تملأ عينيه [نقطتين سارحتين][٥]: والبلسم الشافي الذي فيه شفاء شمشون؟!

فقالت له: رَحِمَ الله شمشون، وأماته موت الأبطال، ولم يَمُتْ شمشون موت العبيد، لم يَمُتْ شمشون حتى مات معه خلق كثير من الفلسطينيين[٦] أكثر مما قتله في حياته منهم.

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «أحلامه».
(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «الآرميين».
(٣) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «إسرائيلة»!
(٤) في مجلة «البعث الإسلامي»: «بأرض الغربة بعد الآن».
(٥) ما بين المعقوفتين من مجلة «البعث الإسلامي».
(٦) معنى هذا الكلام: أن شمشون لما يئس من الحياة والخلاص من أيدي أعدائه؛ خطر بباله ما ورد في

وبهذا ختمت[١] المرأة حديثها.

أما يزراعل؛ فإنه لم يزَلْ يسير ومعه بقية الكعكة، وكلما جاع يأكل منها؛ فشعر بقوة عظيمة لم يكن له[٢] بها عهد من قبل.

مشى يومًا وليلة ولم يشعر بتعب، ولم تمر أيام كثيرة حتى وصل يزراعل إلى بيت أبيه؛ فلما رآه أبوه لم يصدق عينيه!

أما أمه؛ فعانقته وهي تقول: لم أيأس من لقائك يا بني! ولم تزل نفسي تحدِّثني أنك ستعود إلينا.

ولما رأى الأب بطولة ابنه؛ قال: أنت ابن عزيز عندنا يا يزراعل! أنت غلام طيب، نحن مستعدون لنفعل كلما تأمرنا به؛ فارتحل وارتحل معه أهل بيته كلهم إلى إسرائيل، وصار ليزراعل[٣] اسم بين العظماء والأبطال بعدما كَبُرَ.

ورأى يزراعل فتاةً تشتغل في الكرم فأعجبته؛ فتزوج بها، وبنى لنفسه بيتًا في أرض إسرائيل، وصار له بنون وبنات، وفي ذات يوم جاءه[٤] أحد أحفاده، وقد رجع من روضة الأطفال؛ فجلس على ركبتيه، وقال له: يا جدِّي! حدَّثْتَنَا اليوم المعلمةُ بقصة إبراهيم أبينا وسارة أُمِّنا، وضيوفهما الذين زاروهما[٥] من الملائكة، وفهمت كل شيء من ذلك إلا الكعكات الثلاث التي صنعتها أُمُّنا سارة لضيوفها ولم يأكلوها؛ لأنهم ملائكة لا يأكلون

التاريخ عن ذلك العربي الذي صرعه عدوه، فجاء رفقاؤه ليخلِّصوه منه؛ فوجدوا عدوَّه جاثمًا على صدره كالكابوس، فقال لرفقائه:

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكًا معي

و(مالك) هو اسم عدوه، فكذلك شمشون جمع قوته وهزَّ العمودين هزًّا عنيفًا؛ فسقط البيت كله عليه، وعلى مَن كان معه من الفلسطينيين المتفرِّجين. (منه)

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «اختتمت».

(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «لها».

(٣) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «يزراعل».

(٤) في مجلة «البعث الإسلامي»: «جاء».

(٥) في مجلة «البعث الإسلامي»: «وضيوفها الذين زاروها».

=

ولا يشربون، فأين هي تلك الكعكات؟ ومَن أكلها؟

فمسح الشيخ رأس حفيده، وقال له: الربُّ يعلم ما في نفوس الصِّدِّيقِينَ؛ فينصرهم ويعينهم، فيعطي إحدى الكعكات عبداً صالحًا من عباده المؤمنين حين يراه جائعًا ومضطرًّا، وسالكًا الصراط المستقيم.

وكان التلاميذ يستمعون لحكاية المدير بشغف عظيم كأن على رءوسهم الطير، فنظر إليهم؛ وإذا بطفلة صغيرة تسيل الدموع من عينيها[١] وتقول: يا حضرة المدير! قد علمنا مصير إحدى الكعكات؛ فما فعل الله بالكعكتين الأخريين؟

ولكن المدير لـمَّا فرغ من حديثه في قصة يزراعل وشمشون؛ ضرب الجرس مُؤْذنًا بوقت الاستراحة، وصار التلاميذ كلهم يتساءلون عن الكعكتين الأخريين؛ مَن أكلهما؟

فشكرهم المدير، وهدَّأ روعهم قائلًا: سأخبركم بخبرهما[٢]، فلتطب نفوسكم، ولتقر أعينكم، فسأطلب من المعلمة أَنْ تسمح لي بوقت في اليوم السادس من الأسبوع، وهو يوم الجمعة؛ لأشرح لكم قصة الكعكتين الباقيتين.

فلما كان يوم الجمعة مساءً؛ اجتمع التلاميذ، وكتبوا كتابًا بموافقة المعلمة إلى المدير، ولما سمعت المعلمة أن المدير يلتمس منها الإذن، وتعيين الوقت؛ ضحكَتْ، فبَعِثَ[٣] الكتاب إلى المدير.

ولما جاء المدير إلى الروضة رأى التلاميذ قد أتموا عملهم المدرسي، واستعدوا لتقديس يوم السبت؛ ففرح بذلك، ورأى المدير المعلمةَ قد وضعت منضدة في وسط المقصورة وعليها غطاء أبيض، وفوقه أصص الأزهار وشموع السبت، **وفي وسطها صندوق التبرعات لدولة إسرائيل**.

ولما رأى الصبيان المدير مُقبلًا؛ أنشدوا نشيد السبت بلسان واحد، وحيَّى التلاميذ

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «عينها».

=(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «بخبرها».

(٣) في مجلة «البعث الإسلامي»: «فبعثت».

المدير، فرد عليهم التحية بمثلها، وقال: عسى أن لا أكون قد قطعت عليكم شغلكم.

فقالت المعلمة: لا؛ لم تقطع علينا شغلنا، فتفضل فإنَّ التلاميذ متشوِّقون إلى بقية حديثك، وكلنا آذانٌ صاغيةٌ.

جلس المدير على الكرسي، وجلست المعلمة إلى جانبه، ووقعت في الروضة ضجة من الفرح والتشوق، فقال المدير:

أيها الأعزاء! اليوم أحكي لكم حكاية وقعت منذ سنين كثيرة جدًّا:

بعد شمشون العظيم، وبعد داود[١] الملك -عليه السلام-، وبعد يهوذا المكابي[٢] وقع هذا الأمر: طرد الأعداء آباءنا الأولين من أرضهم؛ فأخذ اليهود يتنقلون من أرض إلى أرض ولا يجدون مُستقرًّا، حتى وصلوا إلى إسبانيا، وفي أول الأمر استقبل الإسبانيون أسلافنا اليهود بترحيب، وفتحوا لهم أبواب أرضهم، فأخذ اليهود يعملون بجِدٍّ ونشاط، وبورك في عملهم؛ فحصلوا على مال كثير وعيش رغد، فكان منهم الأغنياء الكبار، والتجار، والأدباء، والعلماء، والشعراء، وأيضًا كان منهم الشجعان أبطال المعارك، ولكن دوام الحال من المحال؛ فقد تنبه لهم الحساد اللئام، وقالوا في أنفسهم: ما بال هؤلاء اليهود قد أثروا في أرضنا، واستولوا على خيراتها، وصاروا فيها هم السادة الأمراء؛ يأكلون خيرات أرضنا، ولا يعبد ون آلهتنا؟! هلمَّ نطردهم من بلادنا، ونستولي على أملاكهم الكثيرة.

وإذا باليوم العصيب يجيء على اليهود؛ فقام عليهم الإسبانيون، وأجلوا جميعهم -رجالًا ونساء وصبيانًا-، فخرج اليهود بعضهم راكبين على الدواب، وبعضهم يمشون على الأقدام، وبعضهم راكبين في سفن، هكذا خرجوا[٣] خروج الغرباء المبعدين.

وكان (عبديا) وحيد أبيه وأمه، وكان أبوه رجلًا مُعظمًا جدًّا، وقد فرح به أبوه وأمه واجتهدا في تعليمه وتربيته على أعمال الخير، ولكن المجرمين الأشرار ذهبوا إلى الملك

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «داؤد».
(٢) يهوذا المكابي محرر اليهود من نير السريان، انظر: «قاموس الكتاب المقدس» (١٠٨٩).
(٣) في مجلة «البعث الإسلامي»: «أخرجوا».

ووشوا بوالد عبد يا؛ فجاءه رسل الملك، وأوثقوه هو وزوجته في بيتهما، وحكم عليهما بالموت؛ فقتلا!

أما عبديا؛ فأخذه الإسبانيون، ووضعوه في بيت آلهتم؛ ليتعلَّم دينهم، ويتربى عليه، وينسى دين أبيه وشعبه، لكن الواقع لم يكن كما أملوا واشتهوا:

مـا كل مـا يتمنـى المـرء يدركـه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فإن عبديا مع صغر سنه تفطَّن لما أرادوا به، وقال في نفسه: والله! لا أنسى ديني ولا شعبي، ولن أعبد آلهة الإسبانيين أبدًا؛ لأنها آلهة باطل.

وكان عنده كتاب التعليم العبراني قد خبأه، ولم يطلع عليه أحد منهم، وبقراءته لهذا الكتاب كل يوم كان أمله[1] في النجاة ينمو، وأخذ يعتقد جازمًا أنه سيأتي يوم يعود فيه إلى شعبه، وكان بيت آلهتهم مغلق الأبواب على الدوام؛ فلا أمل له في الخروج، ولكن عبد يا كان يصغي إلى ما يتحدث به الكهنة، ولـمَّا سمع منهم نبأ إخراج اليهود كلهم في يوم واحد من بلاد إسبانيا؛ حَزِنَ حزنًا عظيمًا، وخاف خوفًا شديدًا، وقال في نفسه: يا ويلي! إِنْ طُرِدَ جميعُ إخواني من هذه الأرض؛ فأي أمل يكون لي؟ ولن أنجح في الخروج بسلام من هذا البيت؛ فأين أذهب؟! وأين أنجو؟! ومَن يفتح لي بابه؟!

هكذا كان الغلام يقول في نفسه، وأخذ مع ذلك يُفكِّر في الفرار من هذا البيت، واللحاق بإخوانه اليهود قبل أَنْ يخرجوا من إسبانيا، وفي ذات ليلةٍ أخذ حبلًا طويلًا، وربط نفسه به، ثم ربطه إلى الطاقة، ونزل به إلى الأرض، وكان الحراس غائبين في ذلك الوقت بسبب هطول الأمطار، وكانوا مستترين قريبًا من البيت، فأبصروه وتبعوه؛ ففرَّ هاربًا بكُلِّ قوته منهم، واستمر كذلك حتى وصل إلى جماعة من اليهود، وانضم إليهم؛ فاستقبلوه بكل سرور، وقالوا له: يا ويلنا! فإننا لا نستطيع أَنْ نجد لك بيتًا تأوي إليه؛ لأننا خارجون جميعًا من هذه الأرض، ولكن إِنْ أردتَ أَنْ تصحبنا فتعال معنا تسير حيث سرنا؛ لأنك أخونا.

(١) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «أجله».

ولـمَّا وَصَلَ إلى الشاطئ وجد سفينة توشك أَنْ تقلع من الشاطئ الإسباني؛ فركب فيها، ولم تسر بهم إلا قليلًا حتى هجم عليها لصوص البحر، واستولوا على أهلها؛ فقتلوا الشيوخ والعجائز، وأخذوا مَن بقي من الرجال والنساء والصبيان سبيًا؛ ليبيعوهم عبيدًا وإماء، فلما رأى عبديا أنَّ الخطب جلل؛ ألقى نفسه في اليم، فضحك منه اللصوص، وقالوا: هذا صبي شجاع عنيد لا يشتريه أحدٌ منا.

وكان والده قد علَّمه السباحة؛ فأخذ يسبح إلى أَنْ رأى خشبة طافية على وجه الماء؛ فتعلق بها، ولم ينقطع بقلبه ولسانه عن ذكر الله والدعاء أَنْ ينجيه الله، فسبَّح يومًا وليلة، فلما جاء الصباح رفع عبديا بصره فرأى اليابسة قريبة؛ فاشتد عزمه، وسبح حتى وصل إلى جزيرة في البحر، ولم يجد في تلك الجزيرة ديارًا، ولا نافخ نار، ولا حيوانًا، ولا شجرة، ولا نباتًا، ولا ماء عذبًا، وليس فيها إلَّا الشمس فوق رأسه، والأرض تحت قدميه؛ كأنها صحراء، هذا مع ما هو عليه من التعب والجوع والعطش.

وبقي كذلك يومين وليلتين هائمًا على وجهه، فلم يجد أثرًا للحياة، ولما اشتد به الجوع والجهد؛ سقط على الأرض مغشيًّا عليه، فغمَّض عينيه، وأخذ ينتظر الموت، فما راعه إلَّا ظلٌّ ظلَّله من فوقه، ففتح عينيه؛ فإذا بنسر عظيم نزل بقربه، ومعه كعكة تعبق منها رائحة الجنة، فوضعها أمامه ثم بسط جناحيه وطار في السماء، فلما أكل عبديا من تلك الكعكة ارتعش[1] نفسه، وعَلِم أنَّ الله معه، ولـمَّا سقط الفتات من الكعكة على الأرض نبت[2] منه أشجار فاكهة[3] لذيذة الطعم، وبقي على ذلك أيامًا؛ في كل يوم يذهب إلى شاطئ البحر وينظر لعل سفينة تأتي.

وفي ذات يوم رأى سفينة تقرب من الساحل، وتأمل؛ فإذا هي من سفن اليهود المطرودين من إسبانيا تائهين في البحر، فركب معهم في السفينة، وبعد سبعة أيام وجدوا أرضًا فنزلوا

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «انتعشت».
(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «نبتت».
(٣) في مجلة «البعث الإسلامي»: «وفاكهة».

بها، وكان مَلِكُ تلك الأرض طيبًا؛ فسمح لهم بالإقامة في بلده والعمل في أرضها، والأكل من ثمراتها، فكبر عبديا، وصار رجلًا طيبًا من أهل العلم والحكمة، وتزوج امرأةً؛ فولدت له بنين وبنات، ولـمَّا شاخ وطعن في السنِّ أوصى أبناءه بالعمل لكسب عيشهم، والتمسك بدينهم إلى أَنْ يتيسر لهم الرجوع إلى أرض آبائهم وأسلافهم؛ إلى أرض إسرائيل[١].

لم تبقَ لنا إلا كعكة واحدة من الكعكات الثلاث التي حفظتها أُمُّنا سارة عندها، وقالت لأبينا إبراهيم: أنمكث في جنة عدن منعمين وأنا أعلم أنَّ آلافًا من أولاد[٢] من بني إسرائيل يتضورون[٣] جوعًا يومًا بعد يوم، أنا أسمع صلوات أحفادي يطلبون المعونة وهم في سوء وفي شدة، ما أعظم رحمتي لهم وحزني عليهم، كل بني إسرائيل [محتاجون للمعونة][٤]، محتاجون للدواء، أتعلم يا إبراهيم لِـمَن أَدَّخر هذه الكعكة المقدسة؟ أدخرها لنفس عزيزة جدًّا، لواحد من أحفادي -ابن أو ابنة- قلبه أشد حرارة من جميع الناس، نفسه مقدسة وطيبة أكثر من جميع الناس، هذه الكعكة محفوظة في يدي سنين بل من[٥] مئات السنين، لا ينالها أحد إلَّا صفورا[٦] ابنة الفلاح، وهي ابنة سبع عشرة سنة فقط، وهي ابنة القائد الإسرائيلي، إن صفورة لا تعلم أنَّ أمورًا عظامًا تمرُّ بها في حياتها القصيرة، وترى من الخير مثلها، ولكن ما تراه من الشر أكثر، من أيام طفولتها تواجه الموت وتعاينه[٧] وجهًا لوجه في بيت والدها بكنيسة وارشو من بلاد (بولونيا)، قد مارست الموت وعرفته، فإن اللصوص قتلوا أهل بيتها؛ أباها وأمها وأخاها الكبير وأختها، كلهم ماتوا بأيدي اللصوص، ولم ينجُ منهم إلَّا صفورة ابنة عشر سنين.

---

(١) إلى هنا انتهت الحلقة الثانية من مجلة «البعث الإسلامي».
(٢) كذا في الأصل، وفي مجلة «البعث الإسلامي»: «أولادي».
(٣) في مجلة «البعث الإسلامي»: «يتضررون».
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البعث الإسلامي».
(٥) زيادة من مجلة «البعث الإسلامي».
(٦) كذا في الأصل، وفي مجلة «البعث الإسلامي»: «صفورة».
(٧) في مجلة «البعث الإسلامي»: «وتعانيه». =

بعد المعركة وجدها الجنود ملقاة على الأرض مريضة وجائعة؛ فأخذوها إلى المستشفى، فأخذت قوتها ترجع إليها شيئًا فشيئًا، وبعد يوم واحد خرجت من المستشفى وذهبت إلى مساكن اليهود المهاجرين.

وفي تلك الأيام كانت أرض إسرائيل مغلقة في وجوه اليهود، فمتى أراد يهودي أَنْ يدخل إلى إسرائيل؛ وَجَبَ عليه أَنْ يبقى منتظرًا زمانًا طويلًا حتى يأذن له الحكام البريطانيون في الدخول، وقد أقام البريطانيون حراسًا على حدود إسرائيل، ولا يسمحون لليهود المهاجرين أَنْ يدخلوا أرض آبائهم، ويقول المهاجرون: نحن لا نستطيع الانتظار أكثر مما مضى، نحن نريد أَنْ ندخل أرض إسرائيل لنتعاون مع إخوتنا على إصلاح الأرض وإعمارها وحراستها.

وهؤلاء المهاجرون يتعاون معهم جميع يهود العالم، وفي مقدمتهم يهود أمريكا؛ فإنهم ساعدوهم بكل ما يستطيعون بالمال والسفن الكبار والصغار، وكان الملاحون الأقوياء يقفون بسفن المهاجرين على شاطئ إسرائيل أيامًا كثيرة، الرجال والنساء والصِّبيان في جوف البحر لا يسمح لهم بالنزول إلى البر وهم جياع ظِمَاء خائفون.

أما صفورة؛ فكانت تتمشى مطمئنة؛ تساعد المرضى، وتشجع الصِّبيان الخائفين، وتهدئ روعهم، وكل الناس ينادونها: يا أخت! لأنها تعاملهم جميعًا معاملة الأخت[1] لإخوتها، كثير من المهاجرين لـمَّا طال عليهم الانتظار؛ ألقوا أنفسهم في اليمِّ، وحاولوا أن يسبحوا إلى الشاطئ؛ فكان الجنود البريطانيون يلتقطونهم ويأخذونهم إلى جزيرة قريبة من حيفا[2]، وحيفا مدينة من أرض إسرائيل، وكانت صفورة من جملتهم؛ فإنها ألقت نفسها في الماء، وأُخِذَتْ إلى تلك الجزيرة، وكانت صفورة تُطيِّب نفوس الصِّبيان، وتقول لهم: نحن الآن صغار، وسيجيء يوم نعود فيه إلى أرض آبائنا ونتعلم العبرانية[3]؛ لأنها

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «معاملة الأخ أو الأخت».
(٢) لا وجود لها بهذا الرسم في «الكتاب المقدس».
(٣) انظر ما زبره الهلالي عنها في (ص ٣١٥).

لغة شعبنا، ولغة أرضنا، ولغة التوراة، ولغة المخلصين الذين استعمروا الأرض وهيئوها =للإقامة، وأيضًا نتعلم العمل؛ لأن أرض إسرائيل لا يستحقها إلا العاملون.

فاستمع رفقاؤها لنصيحتها، وتعلموا اللغة العبرانية، وتعلموا العمل.

نعم؛ سيجيء يوم تصير فيه صفورة إلى أرض إسرائيل مع رفقائها، إلى أرض الجليل التي أعدت لهم، وكذلك وقع؛ فإن صفورة ورفقاءها وصلوا إلى أرض الجليل ووجدوا فيها مساكن جديدة؛ فإن صندوق التعاون الإسرائيلي هَيَّأَ لهم أرضًا، فحرثوها وزرعوها، كل صباح يخرجون للعمل، وينشدون نشيد الأمل، إلا صفورة فإنها تبقى حارسة للصِّبيان الصغار، ولشدة عنايتها بالأطفال كان الناس يسمُّونها أم الأطفال؛ لأنها كانت تحبُّهم حبًّا عديمَ النَّظير.

صفورة العظيمة:

ثم جاء اليوم العظيم -يوم الرب- سنة 1948م، ذلك اليوم العظيم العجيب الذي قامت فيه دولة إسرائيل؛ فسُمِعَتْ أصواتُ الفرح في جميع جهات العالَم، وأصيب يهود العالم -كلهم- برعشة السرور، وسالت دموع الفرح من أعينهم، ولكن أعداء إسرائيل لم يفرحوا، ولم يذوقوا طعم الراحة؛ فقامت قيامة جيران إسرائيل -وهم العرب-، وبذلوا كل جهدهم لإبادة دولة إسرائيل.

إن أعداء إسرائيل قساة القلوب، لا يرحمون شيخًا كبيرًا ولا صبيًّا صغيرًا ولا امرأة ولا طفلًا، لكن بني إسرائيل قاموا للحرب قومة رجل واحد، وكانت الملحمة قاسية ضارية، وكانت القرية التي فيها صفورة قريبة[1] من حدود العدو؛ فحاصر العدو القرية حصارًا شديدًا، فقال أهل القرية بعضهم لبعض: يا ليتنا وجدنا سبيلًا لإنقاذ الصِّبيان فقط من مكان الخطر، وحينئذ لا نعرف الخوف، ولكن كيف نستطيع إخراجهم والعدو محيط بنا من كل جانب؟!

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «قرية». =

وصعدت صفورة إلى برج الماء، ونظرت إلى ما حولها؛ فلمعت عيناها بنور خاطر خطر في ذهنها، فرجعت وقالت لرفيقاتها: أيتها الرفيقات! إذا جاء المساء يجب أَنْ نخرج الأطفال من القرية، هذا ما أشير به عليكن. فقلن: وأنت يا صفورة؟ فقالت لهن: أنا سأبقى هنا. فقلن: ولم؟ فقالت[١]: هذا سرُّ الجماعة لا أبوح[٢] به. فقلن لها: وكيف نخرج؟ فقالت: تخرجن بالسيارة وتسلكن الطريق المتوجِّه إلى الجنوب إلى حيفا المدينة، وسوف يستقبل الصِّبيان هناك بفرح، أخرجن من الباب الكبير ولا تخفن فإن العدو لا يراكُنَّ؛ فإنه مُتنَحٍّ عنكن لوقتٍ ما. فقلن لها: وكيف علمت أن العدو قد تنحى عن طريقنا إلى وقت ما؟ فقالت: هذا -أيضًا- سرُّ الجماعة لا أبوح به.

وصار الأمر كما قالت لهن صفورة؛ جاءت السيارة في المساء، وخرجت بالصبيان فلم يتعرض لهنَّ[٣] أحد بسوء؛ لأن الأمر صدر بذلك من رئيسة الجماعة، ولما خرجت بهنَّ[٤] السيارة كانت طلقات الرشاشات تدوي في الجو، وكانت تلك الطلقات من رجال العدو من الجهة الأُخرى للقرية، فسارت السيارة التي فيها الصبيان تنهب الأرض نهبًا متوجهة إلى حيفا.

والآن ينبغي لنا أن نعود إلى صفورة لنعلم كيف نجت بنفسها من القرية، ووصلت بسلام إلى رفيقاتها.

قالت صفورة لرئيس الجماعة: إنها تريد أن تخرج في تلك الليلة، وتسير[٥] خلف معسكر العدو حتى تصل إلى جماعتها. فأبى عليها الرئيس، وقال لها: نحن لا يمكن أَنْ نرسل فتاة تواجه الموت، نرسل بذلك شابًّا. فتهيأ كثير من الشبان للذهاب، ولكن صفورة أبت بعناد، وتصلبت في رأيها؛ فقالت له: لا! ثم لا! إن الشبان قليل عددهم،

(١) في مجلة «البعث الإسلامي»: «فقلن».
(٢) في مجلة «البعث الإسلامي»: «أبيح».
(٣) في مجلة «البعث الإسلامي»: «لهم».
(٤) في مجلة «البعث الإسلامي»: «بهم».
(٥) كذا في مجلة «البعث الإسلامي»، وفي الأصل: «تصير».

ونحن محتاجون إليهم للقتال؛ فيجب أَنْ نحافظ عليهم، واللهِ! لو أني أعرف كيف أقاتل؛ لوددت أَنْ أُقاتل معكم العدو، وحينئذ لا أعرف ما هو الخوف، إني أعرف كيف أخفي نفسي وأصل إلى جماعتي في هذه الليلة.

فرأى رئيس الجيش الصدق في عينيها، ووافقها على مرادها؛ فلبست صفورة جلد كبش، وأخذت تمشي على أربع، فرآها العرب، وظنوها شاة هاربة من غنم العبرانيين، وقالوا: إن العبرانيين خافوا [أَنْ يخرجوا من معسكرهم][1] ليردوا هذا الكبش، فمرت الفتاة تمشي على أربع، ولم يمسها أحدٌ بسوء حتى صعدت الربوة، وأخذت منظارها ونظرت إلى ناحية المعسكر؛ فرأت أنها قطعت مسافة لا بأس بها، ورأت السيارة التي فيها الصبيان سائرة تقطع الأرض وأنوارها تسطع، وقد قربت من مدخل مدينة حيفا، ووصلت بسلام، ولما رأى العرب أنوار السيارة أطلقوا عليها النيران فلم يصيبوها.

أما صفورة؛ فنزلت من الربوة مسرعة، واختفت بين الأشجار، ولكنها فجأة شعرت بألم في رجلها، فوضعت يدها على رجلها؛ وإذا بالدم يخرج وهي لا تدري لماذا يخرج الدم، ولم تدرِ أنها أصيبت برصاصة من رشاشات العدو، واستمر الدم سائلًا؛ فعند ذلك قالت صفورة في نفسها: هذه نهاية الأجل. ورأت غمامة سوداء تمرُّ أمام عينيها، ثم أغمي عليها.

ولما استفاقت وجدَتْ نفسها ضعيفة جدًّا؛ لأن خروج الدم الكثير من جسمها نهك قواها، حتى لم تقدر على القيام، وكانت جائعة لم تأكل شيئًا منذ الصباح، وشفتاها يابستان؛ لأنها لم تشرب ماء، فقالت صفورة في نفسها: الآن لم يبقَ لي أمل في الحياة.

وفي تلك اللحظة ذكرت صفورة كل ما مرَّ عليها في حياتها من يوم مات والدها إلى تلك اللحظة؛ فعرفت أن حياتها كلها كانت مرَّة جدًّا، وأن الظلام في حياتها كان أكثر من النور، وأن الحزن في حياتها أكثر من الفرح؛ فبكت صفورة.

ومع ذلك؛ لم تدعُ صفورة لنفسها، بل كان دعاؤها لقومها وللصبيان الذين سافروا

(١) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «البعث الإسلامي».

في السيارة؛ لأن الصبيان كانوا في خطر، فلعلهم خرجوا من الظلام إلى النور، ثم فتحت عينيها، ونظرت إلى السماء، وقالت بصوت خافت: يا رب! احفظ بني إسرائيل في طريقهم؛ فإنهم طيبون وأعزاء.

وبينما هي كذلك؛ إذا بنور عظيم مُقبل عليها، فمدَّتْ يدها بكل قوتها إلى النور فوجدت في يدها كعكة، فلما وضعتها على فَمِهَا زال عنها كل ما كان عندها من الألم والحزن، فلمعت عيناها، وعاد لها أملها، ولما علمت أن تلك الكعكة هدية كريمة؛ قامت صفورة من مكانها، وفي ظلمة الليل توجهت إلى مساكن بني إسرائيل لتتحد معهم في المعركة المقدسة.

ولما رآها أهل القرية فرحوا كثيرًا، وازداد فرحهم لما جاءت البشارة من حيفا، وعلمت أن الصبيان وصلوا بسلام، وكل الرفقاء نظروا إلى صفورة العظيمة[1] نظرة إجلال وإعجاب، فامتلأت قلوبهم شعورًا بالشكر لله -تعالى-، ولما جاءتها إحدى الصديقات بطعام قالت لها: شكرًا يا ربقة! لا حاجة لي بالطعام، خذي هذا الطعام للمقاتلين، ولا تهتمي بي أنا؛ لأني أكلتُ.

ولما فرغ المدير من حديثه؛ وقعت ضجة في الكُتَّاب من شدة الغبطة والفرح، وأخذت الدموع تنهمر من أعين كثير منهم من شدة تأثرهم بما سمعوا، وشكروا المدير الذي يعرف كل شيء، ولا سيما سرَّ الكعكات الثلاث التي صنعتها أُمُّنا سارة.

وكان لداني -مع ذلك- أسئلة يريد أَنْ يسألها، ولكن المعلمة تهيأت للنشيد؛ فرفعت صوتها بالنشيد، وشاركها الصبيان كلهم[2].

تنبيه:

قال محمد تقي الدين -مترجم هذه القصة من **أصل عبراني**-: لا أرى بي حاجة إلى زيادة شرح وبيان؛ فإن القصة واضحة في مدلولها، ولكني أريد أَنْ أُخبر القرَّاء الكرام بخبر

(١) سقطت من مجلة «البعث الإسلامي».

(٢) إلى هنا انتهت الحلقة الثالثة من مجلة «البعث الإسلامي».

يهمهم معرفته:

وهو أن كل صبي أو صبية من أبناء اليهود في الولايات المتحدة له مدرستان، عليه أن يتعلم فيهما:

الأولى: المدرسة العبرانية؛ كل يوم يتوجه إليها لدراسة اللغة العبرانية، والتوراة، وتاريخ اليهود، وكتب العقائد والعبادات.

والثانية: المدرسة العامة التي لا بُدَّ لكل مستوطن في الولايات المتحدة أَنْ يتعلم بها؛ لينال حقوقه المدنية كاملة، وكل هؤلاء التلاميذ ينجحون في المدرستين.

أما أبناء العرب والمسلمين فحالهم معروفة؛ فلا يهتم آباؤهم إلا بتحصيل شهادات تضمن لهم المعيشة، وكثير منهم -وخصوصًا الأغنياء- يُسلِّمون أبناءهم وبناتهم إلى مدارس دعاة النصرانية[1]، ويدفعون أجورًا غالية، زيادة على حرمان أبنائهم من التربية الصالحة التي تجعلهم أعضاء صالحين في مجتمعهم، محافظين على دينهم وكرامتهم، والله الموفق، وصلى الله على خير خلقه، وآله وصحبه، ومَن اقتدى به إلى يوم الدين.

انتهت ترجمة هذه القصة مساء اليوم السادس والعشرين من الشهر الخامس سنة 1393هـ من هجرة النبي الأكرم ﷺ، وفيها عبرة لمن يعتبر.

وكان ذلك بالمدينة النبوية، على مَن شرَّفها الله به أفضلُ الصلاة والسلام.

❊ ❊ ❊

(١) لعلماء المسلمين -قديمًا وحديثًا- تنبيهات وتحذيرات من تدريس الأبناء من قبل النصارى، وأقدمها للإمام مالك بن أنس، فيما نقل عنه سحنون في «آداب المعلمين» (ص١٢٤)، وابن أبي زيد القيرواني في «النوادر والزيادات» (٧/ ٦١)، وابن رشد في «البيان والتحصيل» (٨/ ٤٥٢)، وعلي بن محمد القابسي في «الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» (٣٠٦).
وللمعاصرين جهود مشكورة، لا سيما في المقالات، وهي كثيرة، ومجموعة عندي في (ملف خاص)، وأنصح بقراءة كتاب العلَّامة الشيخ بكر أبو زيد ﷺ «المدارس العالمية الأجنبية – الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها» فهو (مهم).

ترقبوا الإصدار الجديد: